المحاضرة الثامنة

تتمة موضوع المعارضات

في مطلع القرن الخامس الهجري يطالعنا شاعر كبير اسمه أبو عامر بن شهيد الذي كان شاعرا وناقدا وناثرا ، فقد دعته ثقافته الأدبية إلى أن يخوض غمار هذا الميدان على نحو ما تقدم بنا حين وقف عند دراسة رسالة التوابع والزوابع والذين عارضهم كثيرون كامرئ القيس وطرفة بن العبد وقيس بن الخطيموأبي تمام والبحتري وأبي نواس والبحتري والمتنبي .

وتأتي معارضاته على صورة مقطعات شعرية أو قصائد ينشدها بعد أن يستمع إلى شيطان ذلك الشاعر ويكتفي من هؤلاء الشعراء بمطالع قصائدهم وأحيانا يوردشيئا من أبياتهم على نحو ما فعل مع أبي نواس .

فمن معارضاته قوله في قصيدته التي عارض فيها امرأ القيس التي مطلعها :

سمالك شوق بعد ما كان أقصرا وحلت سليمى بطن قو فعرعرا

فيعارضه أبو عامر في قسمها الذي يفتخر فيه امرؤ القيس بنفسه وشجاعته ، وهي في أصلها تجاوز ستين بيتا . وأما أبيات ابن شهيد فهي جزء من قصيدة لم يصل منها إلا خمسة أبيات والمطلع :

((شجته مغان من سليمى وأدور)) ثم يقول :

ومن قبة لا يدرك الطرف رأسها تزل بها ريح الصبا فتحدر

تكلفتها والليل قد جاش بحره وقد جعلت أمواجه تتكسر

ومن تحت حضني أبيض ذو سفاسق وفي الكف من عسالة الخط أسمر

هما صاحباي من لدن كنت يافعا مقيلان من جد الفتى حين يعثر

فذا جدول في الغمد تسقى به المنى وذا غصن في الكف يجنى فيثمر

وخلاصة القول إن فكرة المعارضة لا تدل على مجرد التقليد ، وليس فيها ما يشير إلى ضعف المستوى الفني للشاعر ، كما ليس فيها ما يدل على ضعف الأدب الأندلسي قياسا لنظيره المشرقي . صحيح أن الأندلسيين عارضوا المشارقة للإعراب عن إعجابهم بهؤلاء الشعراء وبقصائد منتخبة لهم . لكننا وجدنا المعارضة

تجري فيما بين الأندلسيين أنفسهم ، كما وجدنا المشارقة هم المعارضون لقصائد الأندلسيين كذلك .

وتتردد فكرة الاتفاق بين الأدبين المشرقي والأندلسي لدى كثير من الباحثين ، وهو اتفاق طبيعي منسجم مع طبيعتيهما ؛ لأن المنابع الفكرية والثقافية وروافدها واحدة . ولذلك اتجهت الدراسات إلى عقد موازنات بينهم وبين أهل المشرق ، وذلك ما حجب عنا روائع الأندلسيين ، فشوهت هذه الموازنات مجال أشعارهم عندما وجدنا الشبه قويا بين الأدبين .

وتأخذ فكرة التقليد والتجديد بعدا واقعيا وتطبيقيا لدى أحد الباحثين الذين وقفوا عند دراسة الأدب الأندلسي في فن من فنونه هو النثر ، حيث يرى الدكتور حازم عبدالله أن الأدبين المشرقي والأندلسي كل متكامل من أجزاء لا يمكن فصلهما إلا بما يمتاز به كل جزء في ذاته من غير إخلال بالقواعد لأمور عديدة :

أولا : إن الأدبين مكتوبان بلغة واحدة هي اللغة العربية

ثانيا : إن ثقافة الأدباء الأندلسيين هي ثقافة الأدباء المشارقة نفسها ، قد أخذت الطائفتان من معين واحد ، وسارت على مثل وقواعد متفقة موحدة

ثالثا : الصلة بين المشرق والأندلس كانت قوية متينة ودائمة مستمرة ولا سيما على الصعيد الثقافي والعلمي ، حيث كانت أفواج العلماء والأدباء تروح وتغدو من الأندلس إلى المشرق أو من المشرق إلى الأندلس والمؤلفات كذلك .

رابعا : وجودهم في بلد بعيد عن المشرق كان يحدوهم إلى التطلع إلى إخوانهم ويشدهم إلى التمسك بمثلهم وأفكارهم وعقائدهم ، كما يشدهم إلى آثارهم في شتى ألوان المعرفة .

خامسا : الشبه الكبير في مظاهر البيئة بمظاهر البيئة العربية .

من هنا يخلص الدكتور حازم عبدالله إلى القول بأن فكرة التقليد لا مكان لها في العلاقة بين الأدبين ، كما أن فكرة التقليد لم ترد على أذهان الباحثين بين مصر والعراق والشام والحجاز أو أي إقليم عربي وإقليم عربي آخر .

وإن هناك أمورا امتازت بها الأندلس عن المشرق مع اتفاق اللغة والعادات والعقيدة وغيرها منها :

أولا : البيئة الأندلسية التي اتفقت مع المشرقية ، ولكنها زادت عليها وأربت في صفاتها ومظاهرها بما احتوته من جمال الطبيعة الدائم .

ثانيا : العادات الأندلسية التي انطلقت من العادات العربية الأصيلة لكنها أفادت من بعض العادات المحلية التي كان عليها أهل البلاد الأصليون .

ثالثا : الامتزاج الذي حصل بين العرب وغيرهم من الأقوام .